

## تفسير سورة سأل سائل

وهي مكية

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَوْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مقلد : يستعمل سائل بعذاب واقع . كقوله : ﴿ وَيَسْتَجِيبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [الحج: ٤٧] ، أى : وعذابه واقع لا محالة . عن ابن عباس فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : الضمر بن الحارث بن كَلْدَةَ . وقال العوفي، عن ابن عباس : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع . وقال مجاهد فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع فى الآخرة ، قال : وهو قولهم : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انزِلْ عَلَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢] . وقال ابن زيد وغيره : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ أى : واد فى جهنم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد . والصحيح الأول لدلالة السياق عليه . وقوله : ﴿ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ ﴾ أى : مرصد مُعدّ للكافرين . وقال ابن عباس : ﴿ وَاقِعٍ ﴾ جاء ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ أى : لا دافع له إذا أراد الله كونه ؛ ولهذا قال : ﴿ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ قال ابن عباس : ذو الدرجات . وقال : يعنى : العلو والفواصل . وقال مجاهد : ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ : معارج السماء . وقال قتادة : ذى الفواصل والنعم .

وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ قال قتادة : ﴿ تَعْرُجُ ﴾ : تصعد . وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله . يشبهون الناس ، وليسوا ناسا . قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم ، فإنها إذا قبضت تصعد بها إلى السماء .

وقوله : ﴿ لِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : فيه أربعة أقوال :

أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز فى وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء .

القول الثانى : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة .

القول الثالث : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جداً .

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، وقد وردت أحاديث فى معنى ذلك .

روى الإمام أحمد عن أبي عمر الغُدَّاني (١) قال : كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بنى عامر ابن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامري مالا . فقال أبو هريرة : ردوه إلي . فقال : نبئت أنك ذو مال كثير ؟ فقال العامري : إي والله ، إن لي لمائة حُمراً ومائة أدمأ ، حتى عد من ألوان الإبل ، وأفنان الرقيق ، ورباط الخيل ، فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلاف الغنم - يُردّد ذلك عليه ، حتى جعل لون العامري يتغير - فقال : ما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من كانت له إبلٌ لا يعطي حقها في نَجْدتها ورسَلها - قلنا : يا رسول الله ، ما نَجْدتها ورسَلها ؟ قال : « في عُسرها ويسرها - « فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وأشربه ، حتى يبطح لها بقاع قَرَقَر ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزهته أخراها أعيدت عليه أولاهها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقرة لا يعطي حقها في نَجْدتها ورسَلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وأشربه ثم يبطح لها بقاع قَرَقَر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، إذا جاوزهته أخراها أعيدت عليه أولاهها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نَجْدتها ورسَلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وأشربه ، حتى يبطح لها بقاع قَرَقَر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقْصاء ولا عُضباء ، إذا جاوزهته أخراها أعيدت عليه أولاهها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، فيرى سبيله . » . فقال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطى الكريمة ، وتمنح الغزيرة ، وتفقر الظهر ، وتسقى اللبن (٢) ، وتطرق الفحل . وقد رواه أبو داود ، والنسائي (٣) .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب كتر لا يودى حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره ، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . » وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر » إلى آخره . ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري (٤) ، والغرض من إيراد هاهنا قوله : « حتى يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ أي : اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه ، كقوله : ﴿ يَسْتَجِلبُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ [الشورى : ١٨] قال : ﴿ إِنَّهُمْ يَرْتَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ أي : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع ، بمعنى استحيل الوقوع ، ﴿ وَفَرَّاهُ قَرِيبًا ﴾ أي : المؤمنون يعتقدون كونه قريباً ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله ، عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

﴿ يَوْمَ نَكُونُ الْأَسْمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴿١﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٢﴾ وَلَا يَنْتَلِ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿٣﴾

(١) في المطبوعة : « العداني » بالعين المهملة ، وهو خطأ ، والثبت من المسند (٤ / ٤٨٩) .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « الإبل » وهو خطأ ، والثبت من المسند (٤ / ٤٨٩) .

(٣) المسند (٢ / ٤٨٩) وأبو داود (١٦٦٠) والنسائي (٢٤٤٢) .

(٤) المسند (٢ / ٢٦٢) ومسلم (٩٨٧ / ٢٦) .

يَصْرَوْنَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُمْ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿٨﴾ وَفَصَّلِيهِ أَتَلَىٰ تَوْبِهِ ﴿٩﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَىٰ ﴿١١﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ﴿١٢﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٤﴾

يقول تعالى: العذاب واقع بالكافرين ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء وغير واحد ، كلردى الزيت ، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أى : كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدى . وهذه الآية كقولته تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارة: ٥] . وقوله : ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أى : لا يسأل القريب عن حاله ، وهو يراه فى أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره . قال ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك ، يقول : ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ .

وهذه الآية الكريمة كقولته : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزَىٰ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [الزنان: ٣٣] . وكقولته : ﴿وَأَنْ تَدْعُ مَفْقَدًا إِلَىٰ حِمْلِهِ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] . وكقولته : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] . وكقولته : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] .

وقوله : ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُمْ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ . وفصلته التى تزيده . ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيهم . كلا ﴿أى : لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض ، وبأعز ما يجده من المال ، ولو بملء الأرض ذهباً ، أو من ولده الذى كان فى الدنيا حشاشة كبده ، يود يوم القيامة إذا رأى الأحوال أن يفتدى من عذاب الله به ، ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدى : ﴿فصلته﴾ : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة : فخذ الذى هو منهم . وقال مالك : ﴿فصلته﴾ : أمه .

وقوله : ﴿إِنَّهَا لَأَطْفَىٰ﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال مجاهد : ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبير : العصب . وقال أبو صالح : ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ﴾ يعنى : أطراف اليدين والرجلين . وقال أيضا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصرى ، وثابت البنانى : ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ﴾ أى : مكارم وجهه . وقال الحسن أيضا : تحرق كل شىء فيه ، ويبقى فؤاده يصيح . وقال قتادة : ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ﴾ أى : نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه . فقوله : نزاعة ، قال : تقطع عظامهم ، ثم يجدد خلقهم وتبدل جلودهم . وقوله : ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ . وجمع فأوعى ﴿أى : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلك ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب . وذلك أنهم - كما قال الله ، عز وجل - كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أى : كذب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ أى : جمع المال بعضه على بعض فأوعاه ، أى : أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد فى الحديث : ﴿وَلَا تُرْعَىٰ فَيُوعَىٰ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ (١) وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول : سمعت الله يقول : ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ . وقال الحسن البصرى : يا بن آدم ، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا .

(١) البخارى (١٤٣٤) ومسلم (١٠٢٩/ ٨٨) .



وهذه صفات المؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد في الحديث الصحيح : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » . وفي رواية : « إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (١) . وقوله : « وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ » أي : محافظون عليها لا يزيدون فيها ، ولا ينقصون منها ، ولا يكتمونها ، « وَمَنْ يَكْتُمْنَهَا فَإِنَّ آتَمَ قَلْبَهُ » [البقرة: ٢٨٣] . ثم قال : « وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ » أي : على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم في أول سورة : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » سواء ؛ ولهذا قال هناك : « أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » [المؤمنون: ١٠ ، ١١] ، وقال هاهنا : « أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمِينَ » أي : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار .

﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٥١﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٥٢﴾ أَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ بِمَنِّهِمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّاتٍ نَجِيماً ﴿٥٣﴾ كَلَّا ﴿٥٤﴾ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا أَسِيمٌ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٥٦﴾ عَنَّا أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مَنَّهُمْ وَمَا عَشُ بِمَسْتَوْفِينَ ﴿٥٧﴾ فَذَرَهُمْ يَحْوُسُوا وَايَعُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٥٨﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَانِ عِزًّا كَأَنَّهُمْ إِلَٰهٌ تَصُبُّ يَوْمَئِذٍ خَيْصَمَهُمْ أَعْيُنُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ، ولما أرسله الله به من الهدى وأيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه ، متفرقون عنه ، شاردون يميناً وشمالاً ، فرقاً فرقاً ، وشيخاً شيخاً ، كما قال تعالى : « فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَفِرَّةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ » الآية [المدثر: ٤٩ - ٥١] وهذه مثلها ؛ فإنه قال تعالى : « قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ » أي : فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد « مُهْطِعِينَ » أي : مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصري : « مُهْطِعِينَ » أي : منطلقين ، « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ » واحدهما عزة ، أي : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أي : في حال تفرقهم واختلافهم ، كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء : فهم مذالون للكتاب ، مختلفون في الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب . وقال العوفي عن ابن عباس : « قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ » قال : قبلك ينظرون ، « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ » قال : العزيرين : العصب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به . وقال الحسن في قوله : « عِزِينَ » متفرقين ، يأخذون يميناً وشمالاً يقولون : ما قال هذا الرجل ؟ وقال قتادة : « مُهْطِعِينَ » : عامدين ، « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ » أي : فرقاً حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ، ولا في نبيه ﷺ . وعن جابر بن سمرة ؛ أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق ، فقال : « ما لي أراكم عزين ؟ » رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن جرير (٢) . وروى ابن جرير عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق ، فقال : « ما لي أراكم عزين ؟ » (٣) . وهذا إسناد جيد ، ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

(١) مضي تخريج الحديث عند الآية (٨) من سورة « المؤمنون » .

(٢) السنن (٩٣/٥) ومسلم (١١٩/٤٣٠) وأبو داود (٤٨٢٣) والنسائي (١/١١٦٢٢) وابن جرير في التفسير (٥٤/٢٩) .

(٣) ابن جرير في التفسير (٥٤/٢٩) .

وقوله : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ أى : أيطمع هؤلاء - والحالة هذه - من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق - أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل ماوأهم نار الجحيم . ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذى أنكروا كونه واستبعدوا وجوده ، مستدلاً عليهم بالبداءة التى الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَلْمُونَ ﴾ أى : من المنى الضعيف ، كما قال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ [المسلات: ٢٠] . وقال : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ ذَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَاتِّرَابٍ . إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ . فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٥ - ١٠] .

ثم قال : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ أى : الذى خلق السموات والارض ، وجعل مشرقاً ومغرباً، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغرب في مغاربها . وتقرير الكلام : ليس الأمر كما تزعمون ان لا معاد ولا حساب، ولا بعث ولا نشور ، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة . ولهذا أتى به « لا » فى ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفى ، وهو مضمون الكلام ، وهو الرد على رعمهم الفاسد فى نفى يوم القيامة ، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو ابلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السموات والارض ، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ نَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَخْلُقْ بِهِمْ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا قَدِيرٌ ﴾ [الاحقاف: ٣٣] . وقال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨١ ، ٨٢] . وقال هاهنا : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ أى : يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه ، فإن قدرته صالحة لذلك ، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أى : بماجزين . كما قال تعالى : ﴿ أَهَيَّسَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوْى بَنَاتِهِ ﴾ [القيامة: ٣ ، ٤] . وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَادِرُونَ بِتَبَكُّمُ الْمَوْتِ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٠ ، ٦١] . واختار ابن جرير ﴿ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ أى : أمة تطيعنا ولا تعصينا ، وجعلها كقوله : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] . والمعنى الاول اظهر لدلالة الآيات الآخر عليه ، والله اعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ فَذَرْنَهُمْ ﴾ أى : يا محمد ﴿ يَخْرُصُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أى : دعهم فى تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، ﴿ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ أى : فيعلمون غيب ذلك ويذوقون وبالها ، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ﴾ أى : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب ، تبارك وتعالى ، لموقف الحساب ، ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، إلى علكم يسعون . وقال ابو العالية : إلى غاية يسعون إليها . وقد قرأ الجمهور : « نَصْبٌ » بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنى المنصب . وقرأ الحسن البصرى : ﴿ نَصْبٍ ﴾ بضم النون والصاد ، وهو الصنم ، أى : كأنهم فى إسراعهم إلى الموقف كما كانوا فى الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون ، يبتدرون ، أيهم يستلمه أول . وهذا مروى عن مجاهد ، وقاتدة ، والضحاك ، وغيرهم . وقوله : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أى : خاضعة ﴿ تَرْتَفِعُهُمْ ذُلَّةٌ ﴾ أى : فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة ، ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .